التصدير

الحمد لله المُتَّصف بصفات الكمال، المنعوت بنعوت الجلال والجمال، المنفرد بالإنعام والإفضال، والعطاء والنوال، المحسن المجمل على مرِّ الأيام والليالي.

أحمده حمداً لا تغيّر له ولا زوال، وأشكره شكراً لا تحوُّل له ولا انفصال، والصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي إلى أصحّ الأقوال، وأَسدِّ الأفعال، والمميِّز بين الحرام الحلال، وعلى آله وأصحابه خير صحب وخير آل، صلاة وسلاماً دائمين بالغدو والآصال.

أما بعد:

«فإن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد به منزلة الأخيار، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، به توصل الأرحام، ويُعرفُ الحلال من الحرام؛ وهو إمام العمل، والعمل تابعه، يُلهَمَه السعداء، ويُحرمه الأشقياء».

وقد شهد تاريخ المسلمين حركة اجتهادية علمية في مختلف العلوم، لم تكن لأمة غير أمة الإسلام، وتعددت الاجتهادات، وتنوعت المدارس مع وحدة في الأسس والأهداف والغايات.

وبرزت في القرن الثاني الهجري مذاهب كبرى لمجتهدين كبار، من أهمها المذاهب الأربعة: «الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي»، كثر أتباعها والمتتلمذون على أصحابها، وكوّنت مدارس فقهية، واتجاهات في الاجتهاد والاستنباط، اختلفت في الذيوع والشيوع والانتشار تبعاً للظروف والبيئات التي أحاطت بها وبمؤسسيها؛ فحفظ الله بها العلم والفقه من التشتت والضياع.

وعُني أصحابُ كلّ مذهب بالتأريخ له، وتدوين مسائله واختلافاته والترجمة لأعلامه والمجتهدين فيه، مما كوَّن موسوعات كبيرة في تاريخ الرجال والآراء والاجتهادات.

وإننا إذ نشير إلى ما سبق من أهمية دراسة هذه المذاهب الفقهية؛ فإنه لا بد لطالب العلم من معرفة تاريخها والأدوار التي مرت بها، وأبرز علمائها وكتبهم، وطريقة كلّ كتاب ومزاياه، والمصطلحات التي تميز بها كل مذهب عن الآخر، وهذا ضروري لدارسي المذهب.

وقد خصَّ فضيلة الأستاذ الدكتور خالد كبير علال، المذهب الحنبلي بالعناية، فعكف على دراسة تاريخه من خلال بحثه التفصيلي في نشأة المذهب والمراحل التاريخية التي مرَّ بها من خلال رسالتين علميتين لنيل درجتي (الماجستير والدكتوراه)، فكان كتابه هذا الذي بين أيدينا، والذي بحث فيه في تاريخ المذهب في الفترة من بعد وفاة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى إلى نهاية القرن السابع الهجري (٢٤١هـ ـ ٧٠٠هـ) حيث اكتمل في هذه المدة الزمانية بناء الحركة الحنبلية، وتكثف نشاطها، وكثر أتباعها، وبلغت أوج قوتها.

وتضمَّنت رسالة الماجستير في الجزء الأول من الكتاب:

١ ـ أوضاع بغداد السياسية والاجتماعية، والمذهبية والاقتصادية، في زمن الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

وقد حرص المؤلف حفظه الله على إبراز دور الإمام أحمد بن حنبل في تلك الأوضاع، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

٢ ـ تناول حياة الإمام أحمد بن حنبل ومؤلفاته بشكل موجز، ثم ركز على دراسة فكره، وجمع مذهبه، وتدوينه ونشره على أيدي متقدمي الحنابلة، كمدخل لنشأة الحركة الحنبلية في بغداد.

٣ ـ وتطرق في الفصل الثاني لنشاط الحنابلة السياسي والاجتماعي فيما بين عامي (٢٤١هـ و٥٠٠هـ). فركز على موقفهم من الخلافة العباسية.

٤ ـ وتعرض للنزاع المذهبي الذي شهدته بغداد من وفاة الإمام أحمد بن حنبل إلى نهاية القرن الخامس الهجري، بين الحنابلة من جهة وخصومهم من جهة أخرى.

٥ ـ وخصص فصله الأخير لأثر الحنابلة في حياة بغداد العلمية بين عامي: (٢٤١ ـ ٥٠٠هـ)، وتناول فيه نشاطهم التعليمي والتربوي. وتطرق للانتشار الواسع الذي عرفه فكرهم في مدينة السلام وخارجها.



أما رسالة الدكتوراه في الجزأين الثاني والثالث من الكتاب فتضمَّنت:

١ ـ أوضاع الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي، خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وحتى نهاية القرن السابع الهجري.

٢ ـ جهود علماء الحنابلة في تحصيل العلم ونشره، من حيث رحلاتهم، واجتهاداتهم، وتضحياتهم، وجمعهم بين الاشتغال بالعلم والتكسب، وتبحرهم في العلوم وتخصصهم فيها.

٣ ـ الحديث المستفيض عن المؤسسات العلمية الحنبلية، فبدأ بمساجدهم، في بغداد، ودمشق، وحران، ومصر، وهمذان، وفي غيرها من المدن، وتطرق لنشاطهم في بعضها، وفي الحرم المكي، وبيت المقدس، والجامع الأموي. ثم ركز على مدارسهم، من حيث مواقعها، ومؤسسيها، ومرافقها، وأوقافها، ومدرسيها، ونشاطها، وبعدها انتقل إلى مكتباتهم، وزواياهم، وأربطتهم، وتُرَبِهم.

٤ ـ الحديث عن مواقف علماء الحنابلة من القضايا الفكرية التي شهدها عصرهم، في القرنين السادس والسابع الهجريين، وشمل: مباحث في مسائل علم الكلام وأصول الدين. ومباحث في قضية الاجتهاد والتقليد، ومباحث في قضايا حديثية.

٥ ـ النقد العلمي عند علماء الحنابلة، في مختلف مجالات المعرفة، وشمل: مباحث في النقد التاريخي عند بعض علماء الحنابلة، ومباحث في نقد علم الكلام والفلسفة، لكبار نقاد علماء الحنابلة، ومباحث في نقد بعض المتصوفة، ونقد مقامات الحريري الأدبية، ونقد بعض المصنفات، ونقد علماء الشريعة وعامة الناس.

٦ ـ وتطرّق في الفصل الخامس لتراث الحنابلة العلمي، خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وفيه مبحث عن كبار المصنفين الحنابلة: كالزاغوني، وابن الجوزي، والحافظ عبد الغني المقدسي رحمهم الله، ثم تناول مؤلفاتهم في شتى مجالات العلوم؛ كالفقه، والحديث، وعلوم القرآن، وعلم الكلام، وأصول الدين، والتاريخ، واللغة، والأدب، ثم ختم بجدول شامل لمجموع مصنفاتهم.

٧ ـ وأنهى المؤلف رحلته الحنبلية بدراسة لمظاهر تأثر علماء الحنابلة بالأفكار المعاصرة لهم، وتأثيرهم فيها، وعرض لمظاهر تأثير علماء الحنابلة في مجتمعهم على مستوى الأفكار والسلوك.

ثم أنهى دراسته القيمة بخاتمة ضمَّنها أهم النتائج التي توصل إليها، وبعدها ألحق بالدراسة ملاحق هامة لأهم الإحصائيات الواردة في الدراسة، وتوَّج خاتمة الكتاب بنصوص مختارة حنبلية نفيسة.



هذا، وقد نظرنا إلى هذه الدراسة ـ والتي هي بعنوان: **«الحركة الحنبلية وأثرها في بغداد والمشرق الإسلامي»** لمؤلفها المغاربي الجزائري الأستاذ الدكتور خالد كبير علال حفظه الله ـ بعناية واهتمام، ورأينا أن تكون من ضمن سلسلة إصدارات «مشروع لطائف» العلمية القيمة التي عكفنا على إخراجها للقرَّاء الكرام، وكان لها نصيب وافر من الحفاوة والتكريم في كثير من المجتمعات داخل الكويت وخارجها، وذلك لما تميزت به هذه الإصدارات من أصالةٍ وقوةٍ ووضوح منهج، ومراعاة لمصلحة المثقف، وحاجته العلمية.

وإننا إذ نقدّم هذا الإصدار للقرَّاء الكرام؛ نتوجه بخالص الشكر الجزيل، وبالثناء العاطر الجميل لكل مَنْ ساهم في إخراجه ومراجعته وتدقيقه.

كما نخص بخالص الشكر والتقدير مؤلِّفَه الكريم على الإذن بطباعته، سائلين الله ﷻ أن يجعل فيه النفع للجميع.

والحمد لله رب العالمين

فيصل يوسف أحمد العلي

